

النصّ جملة واحدة

Text One sentence

¹ سعيد جاسم الزبيدي¹ جامعة كلية العلوم والآداب جامعة نزوى (عمان)،

تاريخ النشر: 2025/09/20

تاريخ القبول: 2025/09/14

تاريخ الاستلام: 2025/04/17

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى أنّ (النصّ) حظي باهتمام القدماء العرب، فتناولوه وحدة تعبيرية واحدة، وتوصلوا من خلال تفكيكه إلى نظرة نقدية واعية، وخلصوا إلى بيان خصائصه، واستجلاء جمالياته، ونحّض فريق منهم بـ (معاني القرآن) و(إعجازه)، وثانٍ بشروح الشعر، فكانت منها: المفضليات، والأصمعيات، والمعلقات، والحماسات، وشروح الدواوين، وثالثٍ بشروح النثر، فشرحوا: هج البلاغة ورسائل البلغاء، ودواوين الأدب، ومنها: أدب الكاتب، والكامل، والأمالي، ليثبت أن (النصّ) جملة واحدة.

الكلمات المفتاحية: النصّ، الجملة، معاني القرآن، الشروح، الأمثلة.

Abstract:

This research aims to ensure that the Arabs received the attention of their ancestors. They dealt with it as a single emoji unit. By dismantling it, they came up with a critical and conscious look, and concluded with a statement of its characteristics, illustrating its aesthetics, and a team of them promoted (the meaning of the Qur 'an) and (his impotence), and second with explanations of poetry, including: Favourites, silos, pendants, enthusiasts, Dowain explanations and third prose explanations, explaining: Eloquence and the messages of the parrot, and the writings of literature, including: the writer's literature, the whole, the Amali, to prove that the (text) is one sentence.

Keywords: Text, sentence, meaning of the Quran, explanations, examples

(1) المؤلف المرسل: سعيد جاسم الزبيدي ،

1. مقدمة:

بلغ النظر في (النصّ) ذروته عند العرب حين انتهى عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) مما تقدمه إلى صياغة (نظرية النظم) واستخلصه من إشارات سبقته، فمصطلح (النظم) ورد عند أبي عثمان الجاحظ (ت255هـ) (الجاحظ، 1965، صفحة 148)، وأب قتيبة (ت276هـ) (ابن قتيبة، 2006، صفحة 298)، وأبي العباس المبرد (ت285هـ) (المبرد، 1985، صفحة 81)، وأبي جعفر الطبري (ت310هـ) (أبو جعفر الطبري، صفحة 199)، وغير هؤلاء (حاتم صالح الضامن، 1979، الصفحات 14-23) ويخطئ من يظن أنّ عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) قد قصر (النظم) على توي معاني النحو، متجاوزاً ما ساد في مفهوم (النحو) كالإعراب، والتفريعات التي لا تقدّم دلالة، ولا تقرّب معنى، فقال: " فليس قول أحدهم بأ إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر، بأعلم م غيره... إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء... وليس يكون هذا علماً بالإعراب، ولك بالوصف الموجب للإعراب... " (عبد القاهر الجرجاني، 1992، صفحة 396). وبهذا لم يكن (النحو) عنده شكلياً، وإنما توخي معانيه (عبد القاهر الجرجاني، 1992)، ويتنقل به إلى مرحلة أعلى مما قدّمته كتب النحو فحسب، ولا كتب البلاغة وحدها بل بتضافرهما فأنت يا من صرفت ربحاً من الزمن في ترديد إعراب (أسماء الاستفهام)، ومركب (النداء)، و(التعجب القياسي)، وغير هذا. هل منحك ذلك دلالة؟ وهل أحسست بمزية الفرق بين؟: محمد كريم، وإنّ محمداً كريم، وإنّ محمداً لكريم؟ مثلاً جرى بين الفيلسوف الكندي (ت256هـ) وأبي العباس (ت285هـ) (عبد القاهر الجرجاني، 1992)؟ ل " أنّ الإعراب بيان ما للكلمة في الجملة من قيمة نحوية أو معنى وإعرابية " (مهدي المخزومي، 1986، صفحة 50).

وهل وقع في نفسك أنك لا تستطيع أن تبدل لفظاً من آخر في قول الشاعر جرّية بن النضر:
لا يَألف الدرهم المضروب ضرّتنا لكن يَمّر عليها وهو منطلق (عبد القاهر الجرجاني، 1992)

على ما عرض له عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) حين وضّح أن (مطلقاً) لا يقوم مقامها (ينطلق) (عبد القاهر الجرجاني، 1992).

وقد يُظن أيضاً أنّ هناك فجوة بين ما تركه القدامى م تراث إبداعي: صوصاً: شعرية أم ثرية، ومن مؤلفات قائمة عليها، وما وردنا من مفاهيم غريبة جاءت في (علم النص) ونظرياته، لتجيء هذه الورقة لتزيل هذا الوهم أو الفجوة، فقد تحقق في النصوص المختارة ما يريك (علم النص) بعيداً عن التنظير، والمصطلح.

وأما تطبيقاً فقد نظر القدامى في (القرآن الكريم) ومعانيه، وإعجازه، والشعر، والنثر، والأُمالي، وغير هذا كثير مما حدانا أن نطرح (النصّ جملة واحدة) منطلقين مما اقترحه ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) مصطلح (الجملة الكبرى) (ابن هشام، 1378، صفحة 497) لنوسّعه، فيشمل (النصّ) كلّهُ ومما اجترحه الزميل الباحث المدقق حسن خميس الملخ، في عدّ (القرآن الكريم) جملة واحدة (حسن خميس الملخ، 2024، صفحة 60)، فالجملة العربية " مثل خلق الإنسان في اتصال أعضائه ببعض " (ابن رشيق القيرواني، 2012، صفحة 56). والنص " نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفر كلا ثابتاً " (رولان بارت، 1988، صفحة 89).

وتناوله الجميع _ قدامى ومحدثين _ بعلاقات، وقراء: اللفظية، والمعنوية، وروابطه، على أنه نسيج واحد ملئتم.

2. من نظرات القدامى في النص:

1.2 (معاني القرآن) مصطلحاً وتطبيقاً:

عُني طائفة من علماء اللغة والبيان بـ (القرآن الكريم)، لاستجلاء ما ضمّه من مفردات، وأساليب، وصور تعبير، وبيان فرادته، وإعجازه، ومن بين هذه العناية كتب (معاني القرآن) التي فصلنا القول في ترتيب تأليفها، وما تضمنته م مباحث في كتابنا (نظرات لغوية في كتب معاني القرآن _ استقراء ومنهج _ دار كوز المعرفة (الأردن، ط2، سنة 2022م، وسأكتفي بما قاله أبو جعفر الحاس (ت338هـ) في إيضاح ما يعنيه مصطلح (معاني القرآن) مفصّلاً ما شمله من نظرات في الكتاب المجيد، وغاية ما قصده المؤلفون فيه

من سبقه، ومن تأخر عنه، فقال: " قصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدم من الأئمة، وأذكر من قول الجلة من العلماء باللغة، وأهل الظر ما حضري، وأبين من تصريح الكلمة، واشتقاقها، إن علمت ذلك، وآتي م القراءات ما يحتاج إلى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتج به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وأبين ما فيه حذف واختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم، أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم، ويتنفع به كما ينتفع العالم" (أبو جعفر النحاس، 1409، الصفحات 42-43).

ذكرت هذا النصّ على طوله لبيان ما تضمنته كتب (معاني القرآن) من وجوه البيان وصولاً إلى ما تفرّد به (القرآن) من أساليب (إعجازه).

هذا فضلاً عم كتب في (مشكله)، و(غريبه)، و(إعجازه)، و(وجوهه ونظائره)، و (أسباب نزوله)، و(عدد آياته وسوره) و(مكيّه ومدنيّه)، وغير هذا مما تناولته كتب (علوم القرآن)، لكنّ الفرق بين هذه وكتب (معاني القرآن) أنّها نظرت فيه من زاوية محدّدة، على غير ما تناولته كتب (معان القرآن) التي جعلت من (القرآن الكريم) نصّاً متكاملًا، نعدّه هنا جملة واحدة.

هذا فضلاً عن إغفال أثر الإيقاع في تشكيل بنية التعبير القرآني الذي حصره بعضهم في تناسب الآيات، أو في فواصلها، بل يتعدى ذلك إلى مكونات السياق (السيد خضر، 2020، الصفحات 493-494) " وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد مهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدّم هذا تارة على ذلك، وأخرى ذلك على هذا" (عبد القاهر الجرجاني، 1992، صفحة 142). وما يحمله التكرار حي يوضع في مكانه، وما ينبغي له (عبد القاهر الجرجاني، 1992، صفحة 123)، " فاعم أنه ليس في القرآن مكرّر لا فائدة في تكريره... فانظر إلى سوابقه، ولواحقه، لتكشف لك الفائدة مه" (ضياء الدين بن الأثير، 1939، صفحة 8). فهذا القرآن لا تنقضي عجائبه!

2.2. روح الشعر والنثر:

وتقتفيها (شروح الشعر والنثر) لبيان " ما يتميز به النظم عن النثر، وما يحمد أو يذم من الغلو فيه، أو القصد، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها" (أبو علي المرزوقي، 1968، صفحة 3). و " لئن تصاريف المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة في المنثور، اتسع مجال الطبع فيها" (أبو علي المرزوقي، 1968، صفحة 5).

واختارنا من شروح الشعر: من شروح المعلقات، ومن شروح ديوان الحماسة، ومن شروح ديوان المتنبي، وعلى الوجه الآتي:

3.2 شروح المعلقات:

مما عدّه الباحثون أن الشروح _ أيا كانت _ " أهم أشكال التأليف التابع " (كمال عرفات نبهان، 2015، صفحة 301). وربما جاء (الفسر) (ابن جني، 2004) بديلا من (الشرح)، ونظرا لاختلاف مستويات (المتلقي) ظهرت وظيفة (الشرح) في تقريب (النص) إليه، وليس يسيرا أن نجد شرحا يقتصر على بعد واحد في المعالجة (كمال عرفات نبهان، 2015، صفحة 311). ومن أمثلة ذلك:

1.3.2 شروح المعلقات: وسأقتصر على شرحين:

يعدّ (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) لأبي بكر ابن الأنباري (ت328هـ) " قمة شروح القصائد السبع... فعالج النصوص من زوايا اللغة، والنحو، والتاريخ، والأنساب... كما عقد المقارنات الأدبية... ويبيّن كثيرا من الصلات اللغوية والفنية بها وبين القرآن الكريم، والحديث النبوي " (أبو بكر ابن الأنباري، 1993، صفحة 14).

نختار من شرحه ما قاله في مطلع معلقة لبيد بن ربيعة:

" عفت الديار محلّها فمقامه بمنى تأبّد غولها فرجامها

قوله عفت معناه درست. وتأبّد معناه توحّش. يقال أبدت الدار تأبّد أبودا، وتأبّدت تأبدا إذا توحّشت. والأوابد: الوحش، ومنه أوابد الشعر. والمحل: حيث يحلّ القوم من الدار، والمقام: حيث طال مكثهم فيه. ومعنى: موضع قريب من طخفة بالحمى في بلاد غنيّ وكلاب، وليس بمكة. والغول والرجا بنفس الحمى،

والحمى حمى ضريبة... " (أبو بكر ابن الأنباري، 1993، الصفحات 517-518). وهكذا يستطرد في بيان معاني المفردات ليفكك البيت وصولاً إلى معناه وشم إلى معاني معلقته.

ومثله جرى أبو جعفر النحاس (ت338هـ) في هذا المطلع، فقال: " عفت درست واثحت. والمحل:

الموضع الذي يُحَلّ فيه، والمقام الإقامة ومنى قيل هي منى مكة، وأكثر أهل اللغة يقول: ليس هو منى مكة إنما هو اسم موع آر، وتأبد توحش، والأوابد: الوحش، واحده إبد، والغول ما اغتال البصر أي أراك

الصغير كبيراً والكبير صغيراً، هذا أحسن ما قل... " (أحمد خطاب، 1973، الصفحات 359-360).

اجتزأتها من مصدره للإشارة إلى حشد من المعلومات: اللغوية، والجغرافية، والنقدية التي تضمنتها شروح المعلقات، في أنها نظرت فيها نصاً متكاملًا يمثل حقبة زمنية لإبداع الشعر، مما يعزز أن نعدّها جملة واحدة في خصوصية الشعر، وتمثل لوناً من النص الذي نجد دراسته على وفق نظرة نقدية بما تحمل من اتجاهات في تحليل النص، وتقريبه من المتلقي.

2.2.3 من شروح الحماسة:

سأقتصر على شروح الحماسة لأبي علي المرزوقي (ت421هـ)، فقد أثبت البحث أن الخطيب

التبريزي (ت502هـ) سرق شرح المرزوقي بقضه وقضيضه (عبدالسلام هارون، صفحة 16) (علي جواد الطاهر، 1995، صفحة 13).

يتقدّم المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة لأبي تمام (ت231)، ليصوغ في ضوء شرحه ما يعنيه (عمود

الشعر) مستخلصاً ذلك من شرحه، فقال فيه إنه: " شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته،

والإصابة في الوصف... والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم، والثامها... ومناسبة المستعار منه

للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما " (أبو علي المرزوقي،

1968، صفحة 9).

فهل تم له هذا من غير النظرة الشاملة لاختيارات أبي تمام (ت231هـ) في (ديوان الحماسة)؟ مما نعدّ شرح ديوان الحماسة نصّاً متكاملًا، يُفضي إلى أن نعدّه جملةً واحدة.

ونختار ما قاله أبو علي المرزوقي في (باب الحماسة) ما يأتي: "قال بعض شعراء بلعبر، المراد به بني العنبر..." ثم يسترسل في تعليقات لغوية على (بلعبر) كأنه يقدم درساً صوتياً صرفياً متخصصاً. وتعليقات على قول الشاعر:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبَحْ إبلي بنو اللقيطة من ذهلٍ بن شيبانا

... وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بَعَث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه، وتهيجهم وهزّهم، لا ذمهم وكيف يذمهم ووبال الذم راجع إليه؟ لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كبشة أت عمرو بن معد يكرب في قولها:

أرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه لا تعضلوا لهم دمي

... فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجو أباها عمراً أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثأر أبيه... ولكن مرادها بعثه وتهيجه. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقهما هزيمة من أجنبي: لو كنّا في خدمة فلان عمك أو أخيك لما جسرَ هذا أن ينالنا بمكروه! (أبو علي المرزوقي، 1968، الصفحات 23-24)

وهكذا يصل المرزوقي بالمتلقي إلى (الإقناع) بما ذهب إليه من توجيه معنى البيت باستدعاء شواهد شعرية وعبارات منتزعة من واقع اجتماعي؛ ليربط السياق الخارجي بالسياق الداخلي.

- ومن أمثلة شروح دواوين الشعراء أثار أحد روح ديوان المتنبي (ت356هـ) التي عُني بها القدامى والمعاصرون ومنها: شرح ابن جني (ت392هـ) المسمّى (الفسر)، والمنسوب للعري (ت449هـ)، واب سيده (ت458هـ)، والواحدي (ت468هـ)، والمنسوب للعكبري (ت616هـ)، ومن المعاصرين: ناصيف اليازجي (ت1871م)، وعبدالرحمن البرقوقي (ت1944م).

فاخترت لها (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري في شرحه قول المتنبي:

"أحاذ أم سداس في أحادٍ لييلتنا المنوطة بالتنادٍ

أراد الاستفهام كأنه قال: أحاد، فحذف الهمزة لدلالة قوله: أم سداس. وهذا الباء للتكرار. فإذا قال:

جاءني القوم أحاد، أراد به واحدا واحدا، وكذلك ما زاد عليه، ولا يراد به حقيقة العدد، وإنما خصّ

السداس دون ما فوقها من سباع وغيره، لأن العرب لا تستعمل هذا المثال فوق سداس، هذا قول بعضهم

وليس بواضح فقد ذكر أبو حاتم: في كتاب الإبل هذا المثال فما زاد على سداس إلى عشار. فالأولى أن

يقال: إنما خصّ هذه لأنها ليالي الأسبوع، ومداد أيام الدنيا على هذا العدد. يقول: إنّ هذه الليالي جاءت

واحدة واحدة أم ستة ستة جمعت في واحدة. وقيل: إنه أراد هاهنا واحدة هذه الليلة أم ستة (كذا) ليال

مجموعة في واحدة؟ فكأنه يقول هذه الليلة ليلة واحدة أو ليالي الأسبوع كلها، وهي في طولها كأنها متصلة

بيوم القيامة. وقوله: لييلتنا تصغير ليلة، وإنما صغرها مع وصفه لها بالطول، إشارة إلى أنها في نفسها قصيرة

وإن كانت هي عنده طويلة لطول سهره فيها، أو يقال: إنما صغرها على سبيل التعظيم" (معجز أحمد،

2012، الصفحات 298-299).

وهكذا بيني لنا (المعري) دلالة البيت في تحليل مفرداته، وما وراءها! ويجري على ذلك في شرحه شعر

المتنبي الذي هو نصّ واحد.

في الأمثلة التي تقدمت من روح المعلقات، وروح الحماسة، وشروح الدواوين، تطبيق دال على مواجهة

النصّ، واستجلاء مرامي مبدعيه، وتفاوتهم في التفصيلات التي ينثرونها في شروحهم خارج (النصّ) وداخله،

ولأكشف عن توجه سابق في تراثنا في تأملاتهم (النصّ) وأبعاده، فالدعوة التي قامت على أنّ النصّ أولاً

تشكل نظرة في وحدة النصّ جملة واحدة.

3.3 شروح النشر:

نادرة هي شروح النشر، لغلبة الشعر وكثرتة، بإزاء ما وصل إلينا من نثر، ونعني به النثر الفني الذي أشتَرَط فيه حسن التأليف، وجودة التركيب (أبو هلال العسكري، 2006، صفحة 147)، وله خصوصية تميزه من الشعر (ضياء الدين بن الأثير، 1939، صفحة 185)، ومن النقاد مَنْ قَدَّمه على الشعر (أبو بكر الباقلاني، 2010، صفحة 155) (أبو حيان التوحيدي، 2009، الصفحات 274-284) (أبو علي المرزوقي، 1968، الصفحات 16-20).

وعلى الرغم من تباينهما في الشكل، فلا أرى مزية لأحدهما على توأمه إلا بمقدار الإبداع الذي يتجلى فيهما.

اخترنا أمثلة ثلاثة من شروح النشر هي:

1.3.3 شرح هج البلاغة:

لن أدخل في إثبات ما ورد في (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي (محمد بن أبي الحسين ت406هـ) أنه من كلام الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقد كفاني مؤونة ذلك السيد عبدالزهراء الحسيني (ت1974م) في كتابه: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، سنة 1966م/ النجف، لمن أراد أن يتوسع في تأصيل كلام الإمام.

وضَّح ابن أبي الحديد (عزّ الدين عبدالحميد، ت656هـ) منهجه في شرحه فقال: "إعلم أبي لا أتعرّض في هذا الشرح للكلام فيما قد فرغ منه أئمة العربية، ولا تفسير ما هو ظاهر مكشوف... ونخرج عن المعنى الذي قصدناه من موضوع الكتاب إلى فنون أخرى قد أحكمها أربابها، ونبتدئ الآن فنقول: قال لي إمام من أئمة اللغة في زماننا: هو الفِخار، بكسر الفاء، قال: وهذا مما يغلط فيه الخاصة فيفتحونها، وهو غير جائز، لأنه مصدر (فاخر)، وفاعلٌ يَجِيءُ مصدره على (فعال) بالكسر لا غير" (عز الدين ابن أبي الحديد، 2009، صفحة 28).

وهكذا يستمر ابن أبي الحديد في شرحه ما به من دقائق اللغة التي قد يغلط فيه الخاصة. ثم يعقب فيقول: "ومنذ الآن نبتدئ بشرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ونجعل ترجمة الفصل الذي نروم شرحه (الأصل) فإذا أُنْهِيَا قُلْنَا (الشرح) فذكرنا ما عندنا" (عز الدين ابن أبي الحديد، 2009، صفحة 34). وقال: "من أراد أن يتعلم الفصاحة، والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض، فليتأمل هذه الخطبة" (عز الدين ابن أبي الحديد، 2009، صفحة 394). يعني بها خطبة عليّ في تمجيد الله ووصف ملائكته، ومنها: "منْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَظْمَهُ، ومن سَكَتَ عِلِمَ سِرَّهُ، ومن عاش فعليه رِزْقُهُ، ومن مات فإليه منقلبه، لم تَرَكَ العيون فتُخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك..." "أي هو مدبر الدنيا والآخرة، والحاكم فيهما، ثم انتقل عن الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان، وأكثر ما يقع ذلك إذا اشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه..." (عز الدين ابن أبي الحديد، 2009، صفحة 391).

وهكذا فعل ابن أبي الحديد مع خطب الإمام، مسترسلاً في بيان دقائق الألفاظ في ضبطها، ومعانيها، ومسائل البلاغة، والغريب، وما عساه يشتهه ويشكل من الإعراب والتصريف" (عز الدين ابن أبي الحديد، 2009، صفحة 10). وما سقناه من قبل كاف، وإلا فليُنظر في الكتاب جملة وتفصيلاً، ليعده جملة واحدة.

2.3.3 شرح رسالة ابن زيدون: لجمال الدين بن نباته المصري (768) (الرسالة الهزلية): قال ابن نباتة:

"وبعد فإني أُمِرْتُ بشرح رسالة ابن زيدون الآتي ذكرها، وإيضاح براهينها، الغامض على كثير من سراً الأدب... لم أعتمد إلا على نقل خبر صحيح، ونسب قولٍ صريحٍ ولم أُخلِ ترجمة كلِّ مذكور من فائدة سارة، ونادرة دارة، وأقوال سديدة، وأبيات مشيدة، وفقر ما أخطأها فطنة سعيدة، ولم آل في اختيارها جهداً... هذا مع تحنّب الإكثار، وترك الإخلال بنظائر الأشعار، والتخفيف مما لعلّ المباحث تقتضيه م العثار" (جمال الدين بن نباتة، 1964، الصفحات 14-15). وأوجز ابن نباتة تقويم رسائل ابن

زيدون(ت463هـ)، فنقل ما قيل فيها: " إنّ رسائله أشبه بالمنظوم من المنشور " (جمال الدين بن نباته، 1964، صفحة 17). فضلاً عما بثّه في شرحه من فوائد لغوية، ونحوية وبيانية، وتاريخية، وحشد فيها من أمثال العرب وأقوالهم، وشواهد من الشعر، مدلاً على إحاطته بعلوم شتى.

قال ابن نباته:

" أما بعد أيها المصاب بعقله، المورّط بجهله.

أما: حرف يقتضي مضي أحد الشئيين، ويتبدأ به الكلام. وبعد هاهنا تستعمل في الترتيب الصناعي، وتقدير (أما بعد): مهما يكن بعد، وهي كلمة يتبدى بها كثير من الخطباء والكتّاب كلامهم، في خطبهم المحبّرة، ورسائلهم المحرّرة، كأنهم يستدعون بها الإصغاء كما يقولون، ولذلك فخر بها سحبان... وكثيراً ما تأتي عقيب قول (الحمد لله)، وتسمى هنالك فصل الخطاب... وتأتي عقيب البسملة، وتأتي ابتداءً كأنها عقيب الفكرة والرواية، وأول من قالها داود عليه السلام... وقيل: أول من قالها قس بن ساعدة، والأول أصح... المصاب: اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة، وأصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب، فالمصيبة أصلها في الرمية، ثم اختصّ بالنائبة.

العقل: المعرفة المستعملة في تحرّي النفع، وتجنّب الضرر، ولأهل اللغة، والمتكلمين في اشتقاقه ومعناه أقوال كثيرة... (جمال الدين بن نباته، 1964، الصفحات 25-26).

" المورّط، الورطة: الهلاك... الجهل: ضد العلم، ومنه سميت المفازة مجهولة... وقال الراغب (الراغب الأصفهاني، 2001، صفحة 109): الجهل على ثلاثة أرب... " (جمال الدين بن نباته، 1964، صفحة 27).

وهكذا يسترسل الشارح في تفصيل المفردات، وتاريخها، ويقف على ترجمة الأعلام وأخبارهم، وغير ذلك من فوائد متحصلة من السياق، فقد نظر في جملتها من خلال تفاصيل ما عرض له في الرسالة.

● رغبة الآمل من كتاب الكامل: سيد بن علي المرصفي(ت1931م):

نقل اب لدون(ت808هـ) عن شيوخه أكتاب (الكامل) لأبي العباس المبرد(ت285هـ) أحد دواوين الأدب الأربعة، " وما سوى الأربعة فتبع لها وفروع عنها" (ابن خلدون، 2006، صفحة 1139). وهذه شهادة تقطعنا عن مزيد قول، أو تفصيل مكانة (الكامل).

قال المرصفي في مقدمة شرحه (الكامل):

" قصصنا بعيد أثره أيام مطالعتي كتابه بالأزهر الشريف في عهد الإمام العليم والفيلسوف الحكيم أستاذ مصره في عصره (محمد عبده)... وكان قد فحص نبهاء ذلك المعهد الكبير فوقع اختياره عليّ... في شرح لطيف لا يملّ مطالعه... وقد أسميته (رغبة الآمل من كتاب الكامل) مهتما ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية... هذا وقد أردنا إذا ذكر أبو العباس شاهدا من شعر العرب أن نورد قصيدته مع ضبط كلماتها وبيان مبهماتهما رغبة في الفائدة" (سيد بن علي المرصفي، 1927، صفحة 3). ثم يفصل القول في (نسب أبي العباس وشذرة م تاريخه، 3/1-4) منضبط (كلمة المبرد وذكر وفاته، 5/1) إلى أن يصل إلى قول المبرد: " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من طبة شريفة، ورسالة بليغة. والنية أن نفسر كم ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا... و(شعر مرصوف) م رصف الحجارة يرصّفها بالم رصفا بناها فوصل بعضها ببعض، يريد أنه متين محكم الأجزاء متمك القافية. (وموعظة بالغة) يريد موعظة تنتهي إلى غايتها وه التأثير (ورسالة بليغة) فصيحة الألفاظ تبلغ عبارتها كنه المراد منها، وقد بلغ الأديب بالضم بلاغة فهو بليغ إذا كان كذلك..." (سيد بن علي المرصفي، 1927، صفحة 8). وهكذا يمضي المرصفي في إيضاح عبارات المبرد وتذليلها بالأمثلة الدالة: من القرآن، والحديث، وكلام العرب، وأمثالهم، وأشعارهم، لنبين أن (الكامل) نص واحد، وعلى ما نذهب إليه جملة واحدة.

4. الخاتمة

حفل التأليف النصّي عند العرب بألوان من المؤلفات التي جعلت من محركات (النصّ) إبداعاً آخر بما كان يغتني من إلهام أدى إلى (تشغيله) (كمال عرفات نبهان، 2015، صفحة 197)، والبناء عليه " نحو الصعود إلى المعنى" (جان ستاروينسكي، 1976، الصفحات 149-161) و " أنّ هناك صراعاً مستمراً وكامناً بين النصّ ومحاولات شروحه" (كمال عرفات نبهان، 2015، صفحة 307). وإيجاد علاقات بين النصّ بأبعاده: اللغوية، والبلاغية، والدينية، والتاريخية، والفلسفية، والموسوعية (كمال عرفات نبهان، 2015، صفحة 308). وقد يرج (الشرح) إلى مساءلة النصّ، للإجابة على هذه المسألة. وليس دائماً أن تجد رحاً يقتصر على بعد واحد (أحمد صالح التكريتي، 1986) (هدى قاسمي ومنار بختي، 2014)، لأنّ هذا يرتبط بقدرة الشارح، وموهبته، واثاع ثقافته، واختلاف منهجه في الشرح. انتهى هذا البحث إلى:

- أن كتب (معاني القرآن) تناولت ما وضّحه أبو جعفر النخّاس (ت338هـ) من تضمنها الجوانب المتعددة، فضلاً عن أن جميع مؤلفي هذه الكتب نظروا إلى (القرآن الكريم) نصّاً واحداً لاجتلاء دلائل (إعجازه).
- أن الشروح التي قامت على (الشعر والنثر) تجاوزت النظر الجزئي في (البيت أو القصيدة) إلى ما هو أوسع: فالمعلّقات، والمفضليات، والأصمعيّات، والحماسات، والاختيارات، وغيرها تدلّ على أن الشراح تُخذوا منها نصّاً واحداً.
- تجلّى في (معاني القرآن) وشروح (الشعر والنثر) كل مفاهيم (علم النصّ)، و (نظريات التلقي)، وما وصل إليه النقد الأدب الحديث، عدا ما جدّ من مصطلحات، فقد كان فيها حضور: للسمائية، والنبوية، والتفكيكية، والتوليدية، وغيرها مما وردنا من الغرب مصطلحاً، ومفهوماً، وصائص، انطلاقاً من " الفضاء النصّي... إنه مجال لتقاطع عدة شفرات... تجد نفسها في علاقة متبادلة" (جوليا كريستيفا، 1969، صفحة 78).

- يؤصل هذا البحث ما في (معاني القرآن) وشروح (العر، والنثر) من أنها نصّ واحد بجملة واحدة، ولا نعي بالجملة الواحدة ما تضمنت عناصر الإسناد، إنما نعي هذا الثالوث الي يكون جملة واحدة:

المتلقي هو المبتدأ + والنص الخبر + والمبدع وجه الإسناد.

بلحاظ أن الخبر لا بدلالته النحوية أو البلاغية أو التاريخية، إنما ما يؤديه كل ذلك مجتمعاً، فالخبر "كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده" (أحمد مطلوب، 2006، صفحة 464)، وبكلّ أصنافه " (أحمد مطلوب، 2006، الصفحات 467-471).

- إنّ إظهار (النصّ) في تراثنا بمثابة الجسر بين الأجيال المتعاقبة، وتقريبه بها، وإثبات أن ما جدّ من ثقافة حضارية بين الشرق والغرب ليس بعيداً عنّا، وأن إسهام العرب في (النصّ) حاضراً حضوراً لافتاً بما ضمّنه القدماء من خصائص، وكان كل ذلك مدعاة إلى (تشرّيح النص _ لعبدالله الغدامي) الذي قدّم مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، رابطا التراث بالمعاصرة. وجاء هذا البحث ليذكر هذا الجيل بما اكتنز به تراثنا بما ينفع، ويترك الزبد ليذهب جفاءً. والله الموفق للصواب

5. قائمة المصادر والمراجع

- الباقلائي، أبو بكر، 2010م، إعجاز القرآن ، مصر.
- المخزومي، مهدي، 1986م ، الإعراب في النحو العربي ، بغداد.
- التوحيدى، أبو حيان، 2009 م ، الإمتاع والمؤانسة ، دار الغد الجديد ، القاهرة.
- المبرد، البلاغة ، 1985م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- ابن قتيبة، 2006م، تأويل مشكل القرآن ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.
- خضر، السيد، 2020 م ، التشكيل الجمالي في النظم القرآني ، دار النابغة، طنطا مصر .
- الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.
- الجاحظ، حجب النبوة (رسائل الجاحظ).
- الجاحظ، الحيوان، 1965م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.
- قاسمي، هدى ، بختي، منار، 2014م ، دراسة سيميائية لقصيدة (على قدر أهل العزم للمتنبى ، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر.
- الجرجاني، عبد القاهر، 1992م، دلائل الإعجاز ، مطبعة المدني ، القاهرة.
- بن علي المرصفي، سيد، 1927م، رغبة الأمل من كتاب الكامل، مطبعة النهضة ، مصر.
- بن نباته، جمال الدين ، 1964م ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، دار الفكر العربي ، القاهرة
- النحاس ، أبو جعفر، 1973 م ، شرح القصائد التسع المشهورات، دار الحرية مطبعة الحكومة، بغداد.

- ابن الأنباري، أبو بكر، 1993م، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، دار المصارف، مصر.
- المرزوقي، أبو علي، 1968م، شرح ديوان الحماسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ابن أبي الحديد، عزالدين، 2009م، شرح نهج البلاغة ، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- نبهان، كمال عرفات، 2015م، عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي الوعي الإسلامي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت.
- كريستيفا، جوليا، 1969م ،علم النصّ، دار توبقال ،الدار البيضاء.
- القيرواني، ابن ريق ، 2012م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- ابن جَيّ، 2004م ، الفَسْر شرح ديوان المتنبي ، دار الينابيع ، دمشق.
- التكريتي، أحمد صالح، 1986م ، قراءة عروضية في المعلقات العشر: مطبعة الإراد ، بغداد.
- العسكري، أبو هلال ، 2006م ، كتاب الصناعتين الكتابة والعر ، المكتبة العصرية بيروت.
- بن الأثير، ضياء الدين، 1939م ،المثل السائر في أدب الكاتب ، دار نهضة ،مصر.
- المرزوقي، 1995م ، ارح ديوان الحماسة ، الدار المتحدة ،الأردن.
- النحاس، أبو جعفر، 1409هـ، معاني القرآن الكريم ، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- المعري، أبي العلاء ، 2012م، معجز أحمد شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

- مطلوب، أحمد، 2006م، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها الدار العربية للموسوعات ، بيروت.
- ابن هشام، 1378هـ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مؤسسة الصادق ،طهران.
- الأصفهاني، الراغب، 2001م، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت
- ابن خلدون، 2006م، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الأسرة، دار نخبضة، مصر
- بارت، رولان، 1988م ، نظرية النصّ ، منشور في مجلة العرب والفكر العلمي ، بيروت.
- الضامن، حاتم صالح، 979م، نظرية النظم تاريخ وتطور ، الموسوعة الصغيرة منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد.
- ستاروينسكي، جان، 1976م، النقد والأدب، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القوم ، دمشق.
- الملخ، حسن خميس، 2024م ، الوحدة النحوية في ضوء علم النصّ دراسة في تعالق إعراب الآيات والسور، عالم الكتب الحديث، إربد_الأردن.